التقرير اليومي

٢٠٠٧/٧/١٧

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

عام بعد الحرب: حزب الله– الصورة والواقع.

بقلم أودي غولان؛ أوميديا؛ ٢٠٠٧/٧/١٥

(كيف يتدبر حزب الله أمره بعد عام واحد من الحرب؟ المعلومات الموضوعية تشير الى أنه قد تم إضعافه سياسياً وعسكرياً، إلا أنّ صموده في الحرب يُعتبر بمثابة إنجاز– وحتى نصر).

إنّ تدمير معظم ترسانة حزب الله الطويلة المدى في اليوم الأول من حرب الصيف الأخيرة كان أحد أكبر الإنجازات لإستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي والـ IAF. لكن الوزير شاؤول موفاز كشف مؤخراً، وكجزء من الحوار الإستراتيجي مع الولايات المتّحدة، عن أنّ إيران وسوريا قامتا بنقل صواريخ طويلة المدى لحزب الله قادرة على الوصول الى وسط وجنوب إسرائيل. ولم يكن تدمير ترسانة الكاتيوشا القصيرة المدى إلا تدميراً جزئياً. فحزب الله حافظ على إطلاقها حتى اليوم الأخير من القتال. وبحسب تقديرات أحدهم، كان لا يزال لدى حزب الله ٥٠٠٠ صاروخ عند نهاية الحرب.

أما نصر الله، فقد تباهى مؤخراً بأنّ حزب الله يعيد تسليح نفسه وينقل الأسلحة الى الجبهة، ما يعني الى جنوب لبنان. وقد ذكر يوسي بايداتز، رئيس قسم الأبحاث لإستخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي، في تقرير له الى الكنيست بانّ حزب الله يمتلك قوة نارية أكبر مما كان لديه قبل الحرب. وصرح تقرير للأمم المتّحدة بأنّ الحدود السورية– اللبنانية مفتوحة أمام عمليات نقل الأسلحة، الأمر الذي يؤكد فقط فرضية أنّ حزب الله لا ينقصه السلاح.

الوجود في جنوب لبنان

لقد دمر جيش الدفاع الإسرائيلي جزءاً من شبكة قواعد وأنفاق حزب الله قرب الحدود مع إسرائيل، ولا يُشعر كثيراً بوجود المنظمة هناك. وبشكل لا منطقي، خلق هذا الوضع مشكلة لجيش الدفاع عندما يتعلق الأمر بتقصي تحركات حزب الله والرد عليها. فهناك دليل متضارب بخصوص وجود حزب الله جنوب نهر الليطاني. إذ يزعم جيش الدفاع بأنّ حزب الله أعاد تنظيم نفسه في جنوب لبنان وبأنه يعمل

هناك. أما قائد اليونيفيل، كلاوديو غراتزيانو، فقد أنكر ذلك في مقابلة له مع الـــ "جيروزاليم بوست" قائلاً بانّ حزب الله لم يُعد موضعة نفسه جنوب الليطاني وبأنّ اليونيفيل تسيّر دوريات في المنطقة بشكل مكثف.

من المحتمل أن يكون هناك وجود لحزب الله جنوب نهر الليطاني، لكنه ليس وجوداً منتشراً كما كان في الماضي، كما أنه لا يتمتع بحريّة حركة كبيرة. وبحسب تقرير لـــ "نيك بلانفورد"، مراسل التايمز في جنوب لبنان، فإنّ حزب الله يقوم ببناء تحصينات ويتزود بالتجهيزات شمال نهر الليطاني. وفي جولة له في المنطقة، صادف حواجز طرقات وإشارات لحزب الله تحظر الدخول الى مناطق معينة. وقد إدعى الزعيم الدرزي وليد جنبلاط بأنّ مليونير شيعي مرتبط بحزب الله يقوم بشراء الأراضي من الدروز والمسيحيين لخلق وجود شيعي وتزويد حزب الله بمناطق تمكنه من العمل بحرية.

العنصر الشيعي

تشير قائمة إحصائيات جيش الدفاع الإسرائيلي الى مقتل ٦٠٠ عنصر مسلح من حزب الله خلال الحرب (تم تعريف معظمهم)، والى جرح حوالي ١٠٠٠. أما الجيش فكان عاجزاً عن التخلص من حسن نصر الله أو قادة آخرين في حزب الله.

ولا تكشف المعلومات كم هو عدد مقاتلي حزب الله، من بين القتلى، كما لا تكشف عدد "العناصر الداعمة له" فحسب. وعلى كل حال، ومع الأخذ بعين الإعتبار بأنّ ٦٠٠ مقاتل من أصل ٨٠٠٠-١٠٠٠٠ قد قُتِلوا، يبدو هذا بأنه الضرر الأهم الذي تحمله حزب الله. فخلال الحرب، كان الإسرائيلي العادي عرضة، بشكل رئيسي، لتأثير صورة حسن نصر الله في خطابات متلفزة له ومحاولات تحليل شخصيته من قبل معلقين وخبراء. لكن لم يتم مناقشة شخصية مقاتلي حزب الله سوى قليلاً. فالمنظمة لم تنشر العدد الثابت للقتلى وفرضت ضغوطاً على الصحف اللبنانية، التي حصلت على قوائم قتلى حزب الله، حتى لا تقوم بنشرها. وبعد أشهر قليلة من الحرب، وضع أحد قادة حزب الله الرقم ٢٥٠ على أنه عدد قتلى مقاتلي حزب الله.

أما الخبرة والحافز اللذان أظهرهما مقاتلي حزب الله، فقد لاقتا الدهشة في إسرائيل. وهناك دراسة لـــ "إيلي هورورويتز" بعنوان "الصف العسكري لحزب الله: الوجه الإجتماعي"، والتي نشرها مركز موشيه دايان للدراسات الشرق أوسطية والأفريقية، والتي قد تلقي بعض الضوء على هوية مقاتلي حزب الله.

فالدراسة مبنية على أساس تحليل لمعلومات السير الشخصية لـــ ١٣٠ "شهيد"، أي مقاتلي حزب الله الذين سقطوا في المعارك خلال الفترة الممتدة ما بين ١٩٨٦- ١٩٨٩ و١٩٩٢- ١٩٩٤، مما يعني الجيل الأول والثاني لمقاتلي المنظمة. أما التفاصيل السيرية الكاملة، فلم تكن متوفرة لكل فرد من المقاتلين على حدة، ولذلك فإنّ بعض المعلومات المتعلقة بالصفات المختلفة والمتنوعة (عمر التجنيد، وضعه العائلي، متزوج أو غير ذلك) هي معلومات جزئية وغير مبنية على أساس كل القتلى الـــ ١٣٠.

بالإضافة الى ذلك، وكما كانت المعلومات تنشر في صحيفة العهد الأسبوعية التابعة لحزب الله، يمكننا الإفتراض بأنّ المنظمة قامت بنشر بعض التفاصيل ولم تؤكد، أو أخفت، تفاصيل أخرى. فعلى سبيل المثال، لا ذكر لإنضمام المقاتلين لحزب الله لأسباب إقتصادية، بالرغم أنّ المعلومات المنشورة توفر أرضية للإفتراض بأنّ رجال حزب الله يأتون من سلم إجتماعي وإقتصادي متدنٍ (عائلات كبيرة، أيتام ومحرومين). ومع ذلك، فإنّ الفرضية الأساسية للدراسة كانت تقول بأنّ القتلى الـــ ١٣٠ كانوا عيّنة ممثلة لمقاتلي حزب الله.

وبحسب الدراسة، فإنّ ٩٠% من القتلى إنضموا الى حزب الله في سني مراهقتهم وبعمر تجنيد وسطي بلغ ١٧ عاماً (معلومات كانت متوفرة لثلث العينة). أما في السنوات الأولى لنشاط حزب الله، فلم يكن يتم نشر عمر "الشهيد" عند موته- إذ يبدو أنّ معظمهم كانوا من الشبان، وبأنّ المنظمة حاولت إخفاء ذلك، بسبب إنتقاد إستخدام المراهقين لهجمات إرهابية. وعلى كل حال، ولاحقاً (في التسعينات)، كان

حزب الله يتأكد من خضوع مقاتليه لتدريب عسكري صحيح قبل إرسالهم الى الحرب. وكمعدل وسطي، يكون مقاتلو حزب الله قد خدموا في صفوف الحزب لمدة خمس سنوات قبل الموت في المعركة. أما معظم الضحايا (٧٥%) فكانوا بسن ١٩ الى ٢٤ عاماً.

أما عمل حزب الله في حقول التعليم، الصحة والمساعدات الإجتماعية، فهي لتوسيع دائرة تجنيده. ففي التسعينات، وسع حزب الله جهود تجنيده كما وسع من إستخدام الإعلام وإجتذاب الطلاب. وذُكر بأن نصف عدد القتلى، تقريباً، كانوا قد درسوا في إحدى مدارس حزب الله الدينية أو المهنية. فالوقت المقضي في الدرس في مؤسسات حزب الله سمح للمنظمة بتحديد الشبان المناسبين للأدوار العسكرية، في حين تمّ تحويل آخرين للدراسات الدينية، الإدارة، إلخ... كما أنّ أكثر من نصف عدد القتلى لم يدرسوا في مدارس حزب الله. بالإضافة الى ذلك، قال نصف هؤلاء الذين هم بعمر ١٥–١٨ عاماً بانّ إنضمامهم لحزب الله كان بسبب تعرضهم لصدمة مواجهة مع جيش الدفاع الإسرائيلي أو SLA (إعتقال على حاجز، قصف مدرسة، إقتحام قرية، معرفة شخصية بفرد من العائلة أو صديق تم قتله). أما معظمهم، فكانوا ممن تركوا المدرسة. كما أنّ جميع مقاتلي حزب الله، تقريباً، هم من المسلمين الشيعة، لكن هناك بعض الإثنيات الحاضرة، بمن فيهم مسيحيين.

وبحسب هورويتز، كان حزب الله مشكلاً من إئتلاف مكون من النخب الشيعية الثانوية كانت حركة أمل تتجاهلهم. وإحدى هذه المجموعات مؤلفة من رجال الدين الجدد النافذين عقائدياً في المؤسسات الشيعية منذ الستينات. وبمقارنة أسماء العائلات، توصل هورويتز الى أنّ نصف القتلى تقريباً كانوا أفراد عائلات دينية جديدة. وهذا واضح وجلي في الدور المركزي الذي يلعبه هؤلاء (رجال الدين) ضمن حزب الله.

أما الجانب الآخر والمهم من المعلومات، فيشير الى أنه بالرغم أنّ معظم القتلى هم من بيروت (٤٣%)، فإنّ عدداً من المسلحين قتلوا في المنطقة التي كانت عائلاتهم قد نزحت منها الى بيروت. وتمت الإشارة في بعض الحالات الى أنّ المقاتل كان متآلفاً بالكامل مع الأرض حيث قُتل، ويعود ذلك على الأرجح إلى كونه قد عاش هناك كطفل أو بقي فيها مع أفراد عائلته. وهذا قد يبرر إلفة مقاتلي حزب الله مع المنطقة الجغرافية التي يقاتلون على أرضها كما يبرر بعض الحوافز التي تدفعهم للقتال.

وقد خضع ٤٦% من القتلى (والمصابين) الى تدريب عسكري صحيح على يد الحرس الثوري الإيراني. فمقاتلي حزب الله يخضعون لخطة عسكرية مسبقة كجزء من دراساتهم في مؤسسات حزب الله أو حركته الشبابية. وبشكل ظاهر، فإن هذه الخطة ما هي إلا تدريب أولي فحسب لإستثارة إهتمام المشاركين. وتدوم الخطة العسكرية أسبوعين، يليها خطة "تثقيفية" لمدة أسبوعين حول الموروث الشيعي. ويحول هذا التدريب العضو في حزب الله الى جزء من قوته القتالية.

وبعد أن خدمته فترة من الزمن وإكتسابه الخبرة، يتم إرسال بعض أفراد الصف العسكري لحزب الله الى تدريب متطور في إيران ولبنان (من بين أولئك المذكورة أسماؤهم في القوائم على أنهم نالوا تدريباً عسكرياً، هناك ١٤% ممن تدربوا في إيران). ومن بين خطط التدريب المتطورة المذكورة، كان هناك التخصص بالسلاح (صواريخ أرض–جو، المورتر والمدفعية)، الحرب البحرية، المراقبة وجمع المعلومات الإستخبارية، وتدريب المدرس.

وبشكل مفترض، كان لمعظم مقاتلي حزب الله من الجيل الثاني، بشكل مفترض، دورهم في الحرب. وتعكس الدراسة، الى حد كبير، التشكيلة الحالية لمقاتلي حزب الله، بالرغم أنه قد يكون هناك بعض التغييرات على مدى العام الماضي ذات نسبة أعلى من الإحتراف والمهنية.

كان حسين علي سليمان، ٢٢ عاماً شيعي من بيروت، كان مقاتلاً في حزب الله قبضت عليه إسرائيل وأُجريت معه مقابلة تلفزيونية. فهو مضى الى مخيمات حزب الله منذ أن كان بسن الـ ١٥عاماً، وخضع لتدريب إيديولوجي وعسكري، بما في ذلك المشاركة في مناورتين في إيران. معلومات سليمان تتناسب وهذه الدراسة.

أما التجنيد والتدريب فعملية مطولة نسبياً، وعلى المقاتلين أن يحرزوا خبرة عملانية أيضاً. ويبدو أن حزب الله سيلزمه بعض الوقت قبل أن يتعافى من الإصابات التي تكبدها خلال حرب لبنان الثانية والعودة الى مستواه من القوة البشرية التي كانت لديه قبل الحرب.

الساحة السياسية

وطالما كان حزب الله يقود النضال ضد الوجود الإسرائيلي في جنوب لبنان، كان ينظر إليه داخل لبنان على أنه شرعي وفوق الإنتقاد تقريباً. وبعد إنسحاب جيش الدفاع الإسرائيلي من جنوب لبنان، سُمعت أصوات في لبنان تتساءل عما إذا كان حزب الله لن يقوم بإلقاء سلاحه وعما إذا كان يعمل للبنان أم أنه يعمل كجبهة لعناصر وعوامل أخرى، أي إيران.

وقد عززت حرب لبنان الثانية زعم معارضي حزب الله في لبنان بأنه كان يعمل كدولة داخل دولة، مُجبراً لبنان على دفع الثمن لمصالح سورية وإيرانية. فالحكومة برئاسة فؤاد السنيورة والإئتلاف الماروني– السني يعارضان حزب الله بوضوح كما قامت الحكومة بعدد من الإنجازات، أولها نشر الجيش اللبناني في جنوب لبنان بالإضافة الى الحقيقة نفسها بأنّ هذه الحكومة لا تزال ثابتة بالرغم من وجود المعارضة السورية والداخلية، بما في ذلك الإغتيالات والتهديدات.

وبحسب تقارير مختلفة، يمكن سماع الإنتقادات ضد حزب الله وسط الشيعة وسكان جنوب لبنان، الذين عانوا كأكثر ما يكون من الحرب. لكن، وبسبب الطبيعة الإثنية للسياسة اللبنانية، يبدو أنّ حزب الله سيستمر بالمتمتع بالدعم القوي وسط الشيعة، ومن غير المرجح أن يدعم عدد كبير من الشيعة الإئتلاف المسيحي– السني.

ومنذ التظاهرات الجماهيرية الضخمة في بيروت في كانون أول ٢٠٠٦، كان هناك حالة من الشلل السياسي، مما حدّ من قدرة الجيش اللبناني على العمل ضد حزب الله إلى حين يتم تسوية المسألة سياسياً. وسيشهد هذا الشهر تجديداً للحوار اللبناني الوطني برعاية فرنسية. أما المشاركون في الحوار، فسيكونوا ممثلين من ١٤ حزب ومنظمة لبنانية، بمن فيهم حزب الله. ومن غير المرجح أن يؤتي هذا الحوار ثماره بسبب الإنشقاقات العميقة والعداء بين المجموعات المختلفة. أما الإقتراح المحتمل لإستقرار لبنان، فسيكون دمج حزب الله في الجيش اللبناني بدلاً من مطالبته بإلقاء سلاحه.

وفي شهر أيلول المقبل، سينتخب اللبنانيون رئيساً جديداً. وإنّ إنتصاراً ما للمعسكر الموالي لسوريا، مثل إنتخاب ميشال عون– حليف حزب الله– سيساعد حزب الله في المحافظة على قدراته العسكرية وقدرته على العمل داخل لبنان.

خيار المقاومة

على كل حال، تتخطى أهمية حزب الله قدراته العسكرية والساحة اللبنانية. فبعد حرب الأيام الستة، تحول قادة الدول العربية، بعد إدراكهم تدريجياً بأنه لم يكن هناك من طريقة لهزيمة إسرائيل وإستئصالها من ساحة المعركة، الى السلام والمفاوضات بدلاً من ذلك (مصر، الأردن). كما أنّ سقوط الإتحاد السوفياتي وخلق عالم من قطب واحد، حيث الولايات المتّحدة، حليف إسرائيل، هي القوة العظمى الوحيدة فيه، عزز هذا التوجه وقاد سوريا، منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية الأخرى للإنجرار أكثر بإتجاه الولايات المتّحدة والمفاوضات مع إسرائيل. وزعم القادة العرب بأنهم شرعوا في السير بطريق المفاوضات والإتفاقيات لأنّ الخيار العسكري ضد إسرائيل فشل ولم يعد قابلاً للتطبيق بعد الآن.

أما حزب الله وراعيته إيران، فيقدمان طريقاً بديلاً لمقاومة إسرائيل والولايات المتّحدة، وحتى محاربة إسرائيل ومن ثم الفوز. فنجاح حزب الله بإجبار إسرائيل على الإنسحاب أحادياً من لبنان عام ٢٠٠٠ أثّر على بداية إنتفاضة الأقصى وعلى التحول الفلسطيني نحو الإرهاب. ومن المحتمل أنّ نجاح حزب الله في حرب لبنان الثانية قد أثّر على إنبعاث الروح الهجومية في سوريا التي تتحدث، مرة أخرى، عن الحرب مع إسرائيل كما أثر على السياسة التي تثابر عليها حماس، التي تشعر بأنها سياسة مبررة بسبب نجاح أساليب حزب الله ضد إسرائيل.

كما تمّ الإحتفال بنجاح حزب الله في أجزاء أخرى من العالم العربي. وبالرغم أنّ القادة العرب المعتدلين قلقون وحذرون من جبروت إسرائيل، فإنهم قد يجدوا أن من الصعب عليهم تفسير خيارهم بمواصلة المفاوضات بسبب الحقيقة التي أظهرها حزب الله، من منظوره، بأنّ المقاومة لا تزال خياراً قابلاً للحياة والتطبيق.

ولإيجاز الحالة الراهنة لحزب الله، فسيتم الأخذ بعين الإعتبار المشاعر المختلطة في إسرائيل. فمن جهة، لقد أضرت الحرب بشكل خطير بقوة حزب الله البشرية وبقدراته العسكرية التكتيكية. أما في داخل لبنان، فيبدو أنّ موقفه قد ضعف وبأنه يواجه حالياً قوة قوية موالية للغرب، بالرغم أنّ هذه القوة لا يزال أمامها إختبارات عديدة عليها مواجهتها. إلا أن الحرب إعتبرت، سيكولوجياً، في إسرائيل، العالم العربي وحتى واشنطن، بمثابة إنجاز عسكري غير مسبوق– وحتى نصر– لحزب الله على إسرائيل. وهذه ضربة قاسية للردع الإسرائيلي ووضع إسرائيل كأعتى قوة في الشرق الأوسط، كما تمنح راعية حزب الله، إيران،حجة منطقية وأخلاقية قوية.